جمعية
الأنبا غريغوريوس
أسقف البحث العلمي

من روائع الأنبا غريغوريوس

(٢٣)

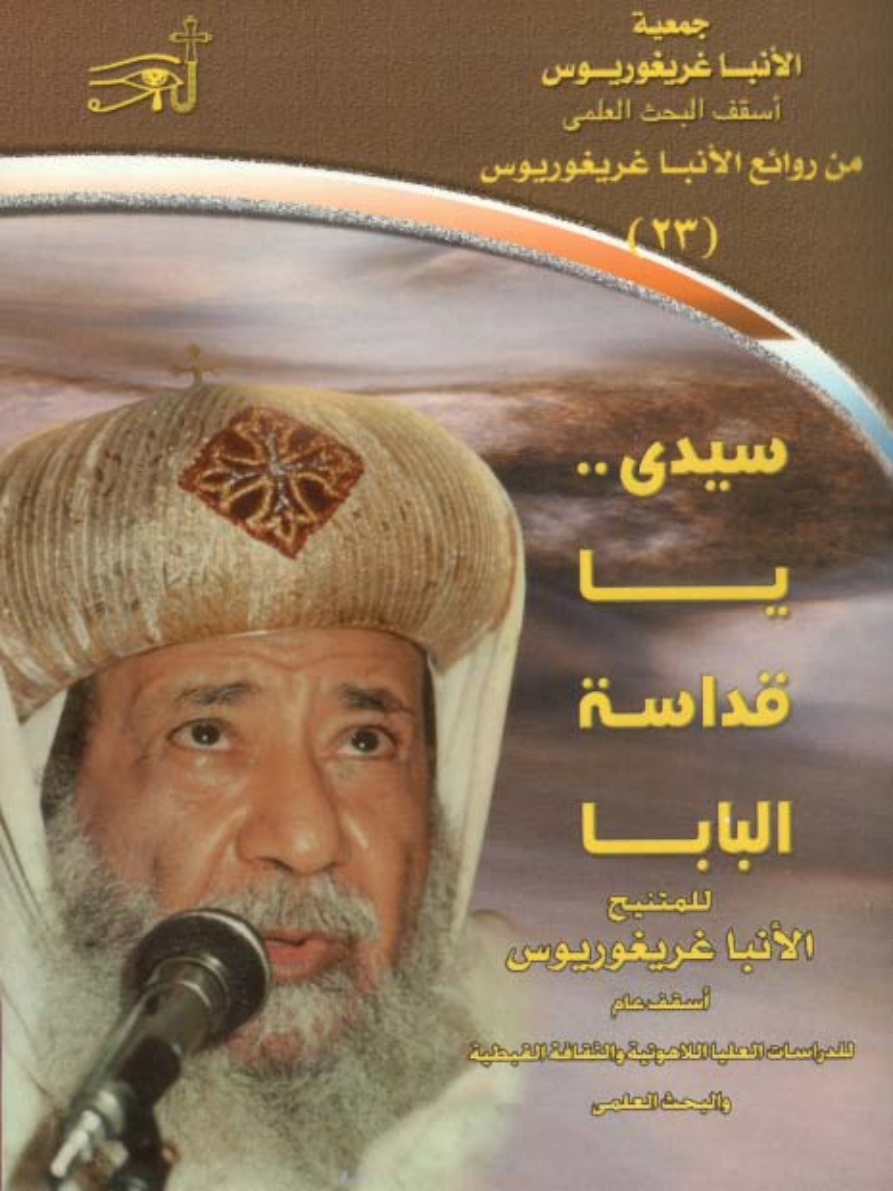

سيدى.. يا قداسة البابا

للمتنبح
الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمي

الكـتاب : سيدى.. يا قداسة البابا.
المـؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.
إعـداد : الإكليريكى منير عطيه.
النـاشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس- ٢١٦ ش رمسيس شقة ٨ - ت: ٤٨٣٣٣٦٣ - ٦٧٤٩٢٥٠.
المطبعـة : شركة الطباعة المصرية العبور- ت ٦١٠٠٥٨٩
الجـمع والغلاف : شركة فاين للطباعة والتوريدات
ت: ٤٨٢٠٩٠٣
رقم الايداع بدار الكتب: ١٤٣٥٥/ ٢٠٠٥
حقوق الطبع محفوظة للناشر.

سيدى يا قداسة البابا! (١)

لست أدرى أفى حلم من أحلام الليل أم فى حلم من أحلام اليقظة، شرد ذهنى عن عالم الحس والشهادة، وغاب عن الوجود الواقعىّ الملموس، وإذا به يرتقى ويصعد، حتى أدرك عالماً آخر ووجوداً آخر، رأى فيه كائنات تروح وتجئ، ظننتها تملك ما نملك من جسوم مادية وأعضاءحسية، لولا أننى رأيت واحداً منهم ظهر لعينى ثم اختفى بصورة فجائية، أدركت بعدها أننى فى عالم الروح لا فى عالم المادة. ولما كان الجميع متبسمين، تعلو وجوههم فرحة وبهجة، وكان المقر يعطره أريج رائحة ذكية انتعش لشذاها قلبى، أيقنت قطعاً أننى بين قديسين يقيمون فى فردوس النعيم.

قلت فى نفسى كيف أفقد فرصة كهذه ثمينة، ولا أصطحب الواحد منهم بعد الآخر ليحدثنى عن نفسه وعن خبرته، حديثاً ينفعنى وينفع الكنيسة كلها، مادام العالم الآخر مغلقاً عنا ولم يعد إلينا واحد منهم ليخبرنا عما يراه أو يسمعه.

ولكننى لم أشأ أن أندفع للسؤال قبل أن أصلى إلى سيدى الرب، فطامنت لعظمته وقلت «... ها أنا أشرع أكلم المولى وأنا تراب ورماد، صغير أنا عن جميع ألطافك وعن جميع الأمانة التى صنعت إلى عبدك، أنت تعلم يا مخلصى أننى أبغى خيراً

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٢ ـ العدد ١٠ فى مارس ١٩٤٩م.

من سؤالى، فلا تحرمنى معونتك. أنهم كثيرون، ولست أعلم زمان إقامتى فى هذا الوجود الروحانى، فليكن أن الروح الذى يتمثل أمامى بشراً بعد أن أرفع رأسى هو أول من تشاء ياربى أن أكلمه لأنتفع بحديثه.. استجبنى يارب استجبنى...»

.. ولما إنتهيت من صلاتى رفعت عينىّ فإذا به شيخ كريم الشيبة، أغر البهاء، جميل الطلعة بسام المحيا، عليه جلالة عجيبة سامية وكأن صوتاً خفياً ولكنه واضح وقوى ينادينى من أعماقى.. هو القديس ألكسندروس بابا الأسكندرية التاسع عشر.

فأمسكت بقدميه وقبلتهما وقلت: سيدى البابا.. إلى مقامك الرسولى الجليل، وشخصك الوقور العظيم، يا معلمى البابا ألكسندروس، أرفع تحيتى وأقدم أعمق إجلالى، فهل لا تشاء أن تقف معى قليلا؟

فوضع يده علىّ وقال «يباركك الرب ويحرسك، يضئ الرب بوجهه عليك ويرحمك، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً».

ولما أقامنى أمامه رأى دموعاً على وجنتى فقال.. أتبكى؟ ولم؟ قلت إننى محترق القلب شوقاً إلى من يمنحنى يا سيدى مثل هذه البركة بهذه اللهجة الروحانية العميقة، وهذا الحنان الرعوى الرسولى الواضح، فلما منحتنى إياها فرحت واشتد فرحى فإنفعلت، وتمنيت لأبناء كنيستى مثلها، فبكيت.

قال: ولكنك عرفتنى باسمى، فمن أين لك هذا، وأنت لم ترنى قبلاً؟

قلت: لقد قرأت تاريخك، فلما رأيت وجهك: خيل إلىّ أنك هو، ولكن صوتاً كلمنى فى أعماقى بنداء ملحف واضح ولم يدعنى أشك. فلما كلمتنى هكذا أيقنت أيضاً أنّ الصوت من الله.

قال: ومن علمك هذا الأدب فى تحية البطاركة؟

قلت: لما كنت صغيراً، كان كاهن البلدة رجلاً فاضلاً رزيناً ورعاً وواعظاً مؤثراً، ولكنى لم أكن أفهم الوعظ، غير أن منظره ووقفته ومشيته وصلاته كانت ذات أثر فى قلبى لا يمكننى أن أصور مدى عمقه فى قلبى الصغير. غير أنه قد استبد بى خيال الطفولة الجامح، فحسبته غير بشر، وآمنت أنه كائن من عل، ولقد امتد بى الخيال حتى حسبته لا يأكل مثلنا ولا يشرب، ولعلّ ملبوسه الخاص الذى كان يتميز به عن جميع أفراد الشعب، غذى هذا الخيال فىّ. ومن عناية الله بى أننى لم أر ذلك الكاهن فى غير وقار أو خشوع. فكبرت وكبر معى الإعتقاد فى الكهنوت وهكذا أكملت الشهادة الإبتدائية، وانتقلت إلى المدرسة الثانوية فى بلدة أخرى كنت أقيم فيها داخلياً، فما كنت أرى الكاهن فى غير يوم الجمعة أو الأحد، وفى غير أوضاع الصلاة الخاشعة.

وانتقلت إلى مصر، ورأيت البابا يؤانس التاسع عشر، ولا أستطيع أن أصف لك الخشوع الذى تملكنى عندما عرفت أن

عينيّ قد أبصرتا رئيس الأحبار الأعظم بابا الكرازة المرقسية وكل أفريقيا. وجاء دور البابا مكاريوس الثالث وكنت قد بلغت من السن والمعرفة بالناس ما يجعلنى أميز بين شخص وشخص فرأيت هذا القديس الطاهر، ولست أدرى كيف تعلقت بهذه الشخصية تعلقاً، جعلنى أفضله على أبي وأمى وأخى وأختى. وأفكر فيه أكثر مما أفكر فى أى شخص آخر عرفته. قد أكون مبالغاً يا سيدى البابا وقد لا يرى أحد غيرى ما أرى، ولك أنت أن تفسر سر هذا الإعجاب، ولكننى أترجم عن شعور صادق أننى وجدت فى هذا الرجل مثلى الأعلى بين البشر، وفى القرن العشرين. لقد قرأت عن قداسة أسلافنا، ولكنى فرحت بهذه العينة التى أقرأها بعينى أنا لا فى سطور على ورق، بل فى حياة وحركة ونور روحانى يشع من كل جوانب شخصيته، وهزة عميقة كانت تتملكنى كلما استمعت إلى صلواته القوية الحارة، وخشوعه المنقطع النظير. أؤكد يا سيدى أننى لم أكن مبالغاً، فلقد رأيت هذا الأثر عينه فى الكثيرين غيرى. ولقد انتعشت الحياة الروحية فى الكنيسة كلها بسببه... وحتى الذين ضايقوه ومرمروا حياته لم ينكروا على الرجل قداسته. وجاءت الأيام فأثبتت أننا لم نكن له أهلاً، وأن غضبته الروحانية جاءت على الكنيسة بلوى محرقة.

هذه هى قصتى، وهذا هو أثر رجال الكهنوت فىّ، فإذا أضفت إلى هذا كله، ما هو أجّل فى نظرى وأسمى من هذا كله،

عقيدتى فى سر الكهنوت وأنه والد الأسرار جميعهاً، وأنه سلطان ملكوت السموات والأرض، وأنه يؤهل صاحبه لمهمة لا يجرؤ على الإقتراب منها والتطلع إليها ملائكة السموات ورؤساءهم.. فقد أبنت عن سر هذا الإجلال العظيم الذى أقابل به سيدى البابا رئيس الرؤساء وقاضى القضاة، وثالث عشر رسل المسيح، ومعلم المسكونة.

قال: جميل أن أسمع منك هذا، وجميل أن تتكلم عن سر الكهنوت بهذا الحماس، ولو كشف لك يا ولدى عالم الأرواح لترى الملائكة تأتمر بأمر الكاهن، والشياطين تفزع من صوته، وتخشى أن يسلط عليها سلطانه الكهنوتى، لأدركت أن تعبيرك ذاك ضعيف فاتر.. آه لو علمت كيف خلع الروح القدس على هذا السر كرامة جليلة، حتى إنه وهب الذين نالوه سلطاناً على السموات.. (ثم انخفض صوت البابا فى وقار وقال) بل.. بل إن الله نفسه أيضاً يحضر بجلاله على المذبح بناء على دعائهم. ويختم على أقوالهم التى تصدر من أفواههم.. أما قرأت فى الكتاب المقدس أن السيد ،نفخ فى وجوه تلاميذه وقال لهم اقبلوا الروح القدس. من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتموها عليهم تمسك، وأيضا قوله جلّت قدرته ،الحق أقول لكم إن ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات، وما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السموات، أفهل يمكن

أن تكون ثمة نصوص أوضح وأصرح من هذه لبيان السلطان الذى وهبه السيد الرب لرسله وخلفائهم من بعدهم؟!!

قلت: ما أعظم هذا السلطان وما أرهبه، ولقد أجاد الذهبى فمه فى تعبيره عنه حينما قال «فالكهنة أنتدبوا ليديروا السماويات وهم على الأرض، وأخذوا سلطاناً لم يعطه الله للملائكة ولا لرؤساء الملائكة» ويقول مرة أخرى «إن ساكنى الأرض والقاطنين فيها (الكهنة) قد سمح لهم أن يسوسوا ما فى السموات، وأخذوا سلطاناً لم يعطه الله لا للملائكة ولا لرؤساء الملائكة، لأنه لم يقل لأولئك ما تربطونه.. يكون مربوطاً.. وما تحلونه يكون محلولاً.. ثم إن للمتسلطين فى الأرض (الملوك والحكام) أن يربطوا، ولكنهم يربطون أجساداً فقط، وأما هذا الرباط (الكهنوتى) فإنه يمس النفس عينها ويجتاز السموات. وما يعمله الكهنة تحت يثبته الله فوق، ويؤيد السيد رأى العبيد». قال: يا ولدى، انشر فى الناس هذا التعليم، واهتم به، لئلا ينسوه إذا لم يحدثهم أحد به، إن أسرار الكنيسة حقائق إلهية خفية، يحتاج المؤمن لإستساغتها إلى قدر كبير من الثقة والإيمان، والإرتفاع عن شواغل المادة، والإرتقاء فوق الحواس، والقياسات المنطقية والعقلية. ولن يصل أمرؤ إلى ذلك إلا بالتواضع والرياضات الروحية.

ثم صمت وتنهدت تنهداً عميقاً وقال: سأمتحن عقيدتك بسؤال دقيق:

ما قولك فى كاهن يسئ إستغلال السلطان الذى وُهِبَ له من الله؟

قلت يا سيدى إنك تعرف خيراً مما يعرف عبدك، إن الآباء الرسل يقولون فى الدسقولية (باب ٨) «يجب عليك يا أسقف.. أن تكون عادلا إذا حكمت وأن تتبع إرادة الله.. لا تكن مسرعاً إلى القطع ولا جسوراً..».

«وأسقف يوجب القضية على أحد ظلماً، فالنقمة تخرج من فيه على نفسه» وما تقوله القوانين «فإن هو ربط وحرم بغير حق طلباً للتشفى من الناس، وإلتماس ذلتهم، وخضوعهم له، فليكن هو المربوط المحروم من الله. وليقم عليه كهنته بالحق الواجب. فإن صعب عليهم أمره، فليرفعوا حاله إلى مطرانه أو بطركه، وليقوموا عليه بالحق، ولا يدعوه يتعدى على خراف المسيح الذين إشتراهم بدمه، ويغيظهم، ويخرجهم إلى التجديف على الله، والكفر بديانته المقدسة. ولا يترك على القضاء بين الناس، ويصرف عن الرياسة» (ع ٢٤).

قال: حقاً إن تعاليم كنيستنا غنية. ولم يحوجنا أباؤنا إلى الإستفتاء فى شأن هذه الأمور، لكى نحسن التصرف، ولا نحيد عن التعليم المستقيم.

قلت لكنه حكم صارم يا سيدى البابا، ولست أعلم كيف يمكننى أن أوفق بين قوانين تأمرنا بالخضوع وإعتبار الأسقف أو

البطريرك وكيلاً لله، وإلهاً على الأرض؛ وتنهانا عن أن نتكلم عنه بسوء، وتوصينا بأن نقبل كلامه شريعة الحق وصوت السماء، وبين قوانين تأمر بوجوب الوقوف فى وجه الرئيس، وإعتبار أن حكمه يرتد على نفسه، وأنه هو المحروم والمقطوع إذا قطع أو حرم بالظلم والطغيان.

وليس هذا فقط بل هناك من القوانين ما يُقيّد إرادة البطريرك فتمنعه من أن يأخذ رشوة فى سيامة الأساقفة أو الأسقف فى سيامة القسوس والشمامسة، وتمنعه كذلك من أن يستجير فى تدبير البيعة بالخوارج أو غير المؤمنين أو رؤساء العالم أى رجال الحكومة أو الضبط. ما قولك يا سيدى البابا فى مثل هذه القوانين التى تنص صراحة على أن مثل هذا الأسقف أو البطريرك «الذى يهزأ بالشعب الذى تحت يده» (دسق ٤) «يقطع» «ويعزل من الرياسة مقهوراً» «وليس هو من قبل الله بل من قبل الناس» «وليس هو أسقفاً».

أفهلا ترى يا سيدى البابا أنها مشكلة تفتقر إلى حل؟ وهل لك أيها الحبر العظيم أن تجيب على سؤالى فتنفعنى وتخرج شعبك من حيرة كبيرة، وتضع حداً للتفسير والتأويل؟

قال: هل الأسقف أو البابا معصوم من الخطأ؟

أجبت: بالطبع كلا يا سيدى.

قال: هل يرى جميع الأقباط رأيك؟

قلت: إنهم ولا سيما الآن لا يحتاجون فيه إلى برهان.

قال: من أجل ذلك حرصت الكنيسة على إبداء حكمها فى كل كاهن يتعدى حدود وظيفته. ويسئ إستغلال سلطانه. لأنه إذا كان الأسقف رقيباً على شعبه، فعليه هو أيضاً رقيب. هكذا تقول الدسقولية: يجب عليكم أيها الأساقفة أن تكونوا رقباء للشعب فإن رقيبكم أنتم هو المسيح، (باب ٣).

قلت: قد فهمت قولك يا سيدى القديس، ولكن الذى أريد أن أفهمه على وجه الدقة هو هذا «ما هى قوة الحكم الذى يصدر من أسقف أو بطريرك، إذا كان هذا الحكم أو القول مخالفاً لإرادة الله، وضد شريعته، أو لا يتفق والعدالة والحق؟ هل يؤيد الرب فعله أو قوله بناء على السلطان الموهوب له من الله فى سر الكهنوت؟».

قال: حزين أنا يا إبنى، لأنك اضطررت إلى أن تسألنى هذا السؤال، ولابد أنه قد حدث شئ أعثرك، وإستثار فيك الإهتمام بهذا الإشكال.

فبكيت وسجدت أمامه وقلت: أطلب الحل يا أبى القديس، اغفر لى جسارتى، فما أكثر الذين سألونىَ مثل هذا السؤال، ولابد أن أكون مستعداً للجواب. وهل يرتضى لى ضميرى أن أتكلم فى مسألة قبل أن أحتكم إلى أربابها نظيركم.

قال: هل يرتضى الرب شراً أو ظلماً؟

قلت: حاشا.

قال: إن السلطان الذى وهب للأساقفة، منح لهم ليستعينوا به على تدبير الكنيسة لا على خرابها وعلى جمع الخراف لا على تشتيتها، وعلى خلاص النفوس لا على هلاكها. والرب يتطلع من الأعالى ليرى فعال وكلائه الذين إئتمنهم على ودائعه: يبارك جهودهم، ويدافع عنهم، ويؤيد أحكامهم، ويتمم أوامرهم. فإذا تجاهل الوكيل إرادة الخير فى موكله، فلا يعقل أن يؤيد الرب ظلماً أو شراً. وإنما يقضى بذات الحكم على الناطق به، فيصير هو المقطوع والمحروم من الله؟

ضع فى قلبك يا إبنى إن سيف الكهنوت قاطع بتار، لا يرتد خائباً أبداً، فإن لم يصب المضروب به، إرتد قطعاً إلى الضارب به ظلماً، فيقطعه.

عند ذاك لم أتمالك أعصابى، ولم أستطع أن أكتم إنفعالى، فصرخت صرخه مرة وشديدة وبكيت وقلت: هلكنا إذن يا سيدى!!.. فإذا أبتليت الكنيسة بمن لم يعرف حدود وظيفته وتعدى على القوانين، أصبح محروماً؟ وإذا كان هو محروماً أفلا يكون كهنوته باطلاً؟! وإذا كان كهنوته باطلاً أفلا تبطل بالتالى صحة جميع الأسرار التى يباشرها؟

فتبسم البابا ليطمئننى، مع أننى إستطعت أن أرى غمة قلبه طافحة على عينيه الكامدتين ثم قال:

أتظن أن هذه المشكلة قد أفلتت من رعاية صاحب الشريعة؟ اذكر يا ولدى ولا تنسى، أن كل ما يخطر بقلبك، أو يخطر ببال

الآتين بعدك، لم يكن خافياً عن حكمة الروح القدس الذى نطق على أفواه المشرعين. ورسل المسيح.

قلت: لست أدَعّى إننى أعرف فى حكمة الله شيئاً. بل أنا غبى ومسكين وبائس وأعمى وعريان.

قال: افهم ما أقول. وليعطك الرب فهماً فى كل شئ: إذا قالت القوانين عمن تعدى الشريعة أنه يقطع أو أنه ليس أسقفاً. أو ليس من قبل الله، أو أنه محروم من الله. فالمعنى من كل ذلك: إنه يستوجب القطع من الكنيسة المنظورة، وأنه سيحرم من السماء فى يوم الحساب.

فإذا قصّرت الكنيسة المنظورة فى واجبها نحو المستهترين بالشريعة والمفسدين لكنيسة الله فهذا خطأ يلحقهم جميعاً، ولكنه لا يمس سلطان الكهنوت مطلقاً. فالأسقف يظل أسقفاً والبطريرك يظل بطريركاً، وتيار مواهب الروح القدس جارياً وكل أعمال الكهنوت وطقوس السرائر ذات فاعلية إلهية. ولن يتعطل من كل ذلك شئ إلا حين يصدر حكم الكنيسة المنظورة بالحرمان أو القطع. لأن سلطان القطع والحل قد أعطى لرجال الكهنوت على الأرض وهم عرضة للخطأ وسوء التصرف. ولن يسقط عنهم إلا إذا نزع منهم. ولن ينزعه منهم إلا صاحب سلطان منهم، أو هو الله ولكن فقط فى يوم الدين. «متى ظهر رئيس الرعاة»... ويا لهول الدينونة الرهيبة المخيفة التى تنتظر الراعى المستبد، أو المستهين بقدسية الوظيفة الرسولية، أو المهمل فى شئ من

مسئوليات الرعاية، أو غير الساهر على خلاص شعبه وبنيان الكنيسة.

قلت: وسيطغى بعض الرؤساء إذن، ممن قد لا يخشون دينونة اليوم الرهيب.

قال: من أجل هذا وجدت المجامع الأقليمية والمسكونية فى الكنيسة الأرثوذكسية، لتضع حداً لتصرفات المارقين.

* * *

حينئذ ربّتَ على ظهرى وقال «سأعود إليك «بعد زمان» ومعى خليفتى وتلميذى أثناسيوس، تركته لأكلمك فطال إنتظاره.. وما أشد أسفى حين تنبهت بقوة هذه الهزة إلى نفسى، فإذا بى فى مكانى من حجرتى.

قلت: أريد أن أعود إلى الحديث مرة أخرى، فهل يشاء الله؟

وأيضاً... سيدى يا قداسة البابا !!! (١)

وكانت يقظة طويلة مملة على نفسى وعلى جميع الذين تابعونى حلمى الأول. وصاحوا جميعاً: نريدك أن تنام لتحلم، قلت كان لابد لى أن أقاوم رغبتى فى النوم وحاجتى إليه أمام نداء العمل المتواصل، وأمام إحساسى وإحساسكم بحاجتنا جميعاً إلى زمان وزمان لنتأمل ونتفكر فيما مر بنا من عبر وأحداث،

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٣ عدد ٦، ٧فى ستمبر وأكتوبر ١٩٤٩.

فالأفكار شأنها شأن الطعام الذى لابد له من وقت لنزدرده فيه ثم لنهضمه ونتمثله فيستحيل إلى دم ولحم، ويصبح جزءاً من كياننا وطبيعتنا وشخصيتنا.

وليس من الخير لعقولنا، ولا بنافع لأرواحنا، أن نثقل عليها فنجهدها شأنها فى ذلك تماماً شأن جهازنا الهضمى لابد أن يكتفى من الطعام بقدر لتتاح له فرصة الهضم والتمثيل، وإلا تأذى وتوقف عن العمل، أو اضطر لقذف طعام صالح كان يمكن أن يفيده ويغذيه لو قدم إليه فى موعد آخر يشتد عليه ألم الجوع، وتستصرخه شهوة الطعام.

* * *

ولكن أصدقائى بالكاد استمعوا لهذه الكلمات، وألحّوا علىّ قائلين: نريد أن تنام لتحلم فهل تلبى النداء؟ قلت إنها رغبتى قبل أن تكون رغبتكم، وإننى أشكركم، وأشكر الله قبل أن أشكركم لأنكم آمنتم معى بأنه يجب أن نعزف عن عالم الواقع المرير إلى عالم الأحلام الطليق، وأن نسكت عالم الأحياء لننطق عالم الموتى، ولو كان الوجود هو عالم الدنيا بمفرده لكان الشقاء حليف ذوى المبادئ الكريمة، ولولا إيماننا بحياة آخرة لإنفلقت نفوسنا من الغيظ وتفتتت من الحقد والكمد. أما ونحن لا زلنا فى عالم الأحياء فلا يعزينا عن شر الدنيا وأخطاء ساكنيها غير لحظات من الخيال نسبح فيها ونمرح، أو قل بأشباح الموتى

تتحرك على مسرح الأحلام تلهينا وتنسينا، ثم نناجيها فتناجينا ونستهديها فتهدينا.

وكانت هذه آخر كلمة خافتة نطق بها لسانى، على ما أذكر، واستسلمت بعد ذلك لما رغبت فيه ورغب فيه معى عاشقو الأحلام، وإذا بى عند موقفى الأول أنتظر عودة البابا ألكسندروس، ولكن ملاكاً مر بى وصاح قائلاً: ما إنتظارك هنا وأنت من عالم الدنيا؟ قلت رفقاً بى فلقد اشتد حنينى إلى عالم الآخرة قبل أن يحين موعد إنطلاقى إليها، وبت أتوق إلى أن يكلمنى الموتى ولا يكلمنى الأحياء. أما يقول النَبى داود «آمنت لذلك تكلمت، أنا قلت فى حيرتى إن كل الناس كاذبون، فهؤلاء هم الأحياء فى عالمنا وقد صار أكثرهم منافقين غاشين، ومضلين، بلاعهد، ولا أمانة، ولقد صار محبباً إلينا معشر الشباب أن ننصت إلى واحد ممن رقدوا. فنحن نعيش على الماضى ولا نعيش على الحاضر، ولولا تقاليدنا وطقوسنا الثابتة التى لا تتغير، لما بقى لنا من تراثنا الروحى شئ يذكر، فهى الصلة الوحيدة التى تصلنا بروح آبائنا وجدودنا لأننا نصلى بذات الصلوات التى صلوا بها، ونمارس ذات الترتيبات التى مارسوها وباشروها. فمعذرة إذا كنت كواحد من بين الشباب الذين يؤمنون بهذا، والذين يستبقون الحوادث ويودون الرجوع إلى تعاليم الآباء وروح الآباء ويشتاقون إلى مناجاتهم ولو بالصلوات والرؤى والأحلام.

قال الملاك: ظننتك متجاسراً تقحم نفسك فيما لا يخصك، وحسبتك إنساناً تريد أن تسترق أخبار عالمنا لتخبر بها عالمكم، وأنت تعلم أن لابد لعالمنا من أن تكون شئونه مغلقة عليكم، ليكون ثمة مجال لإمتحان إيمانكم فى حقيقة العالم الروحانى، وفى مدى تصديقكم بأقوال مخلص العالم وأنبيائه السابقين ورسله وكهنته اللاحقين. وما دمت لم تأت لشئ من هذا فسأكون فى خدمتك، وسأستدعى لك من تطلب لتشتفى بأقواله وتستفيد من أحاديثه فى شئ يخصكم.

قلت إن البابا أثناسيوس الرسولى، يعد عندنا وفى نظر العالم أجمع، مؤسس المسيحية الثانى، وكان هو الرأس البارز الأوحد الذى قاوم البدعة الأريوسية التى كادت أن تصرع المسيحية لو لم يهب الله للمسيحية أثناسيوس، فهو الرجل الوحيد الذى لو إختفت رأسه لإختفت المسيحية معها. ولذا خلعت عليه الكنيسة لقب الرسولى، وسماه الغربيون Athanasius contra mundum «أثناسيوس ضد العالم» - هذا هو البطل القبطى الذى أتمنى لو ألتقى به مرة واحدة لأسعد برؤياه، ولأستفسر منه سبيل الهدى والرشاد.

واختفى الملاك من أمامى فجأة، ومع ذلك فقد كشف عن عينى، فرأيته يمثل أمام البابا أثناسيوس وينحنى أمام شخصه الجليل إنحناءة دلتنى على مكانة الكاهن الأمين والراعى الصالح بإزاء ملاك من نور، وقال: سيدى أيها القديس المغبوط! إن شاباً

قبطيا من أولادك يلتمس صالح دعاكم وبركة رضاكم، ويسألكم التفضل بالخروج إليه والإستماع إلى أسئلته. وإننى أمام إلحاحه لا يسعنى إلا أن أضم صوتى إليه فى رجاء إسعافه وإفادته بما ينتفع به هو والذين يسمعونه.

وكانت لحظة حرجة على نفسى، كنت أخوف ما أكون فيها من أن يرفض طلبى، ولكن سرعان ما قرأت - من بعيد - فى محيا القديس البار، قسمات الرضا والقبول بل وعلائم الإستعداد والسرور لتأدية خدمة لأحد أولاده. وفى نظرة خاطفة كأنه يستأذن البابا ألكسندروس ثم تناول يده فقبلها فى إحترام وخشوع عجبت لهما وقلت أهكذا يحترم البابا وات بعضهم بعضاً حتى لو كانوا فى عالم الآخرة!!؟

ولم يحتاج البابا إلى زمن ليخرج إلىّ، ففى عالم الأرواح يقصر الزمان حتى يصبح ولا زمان، وتتخلخل جزئيات المكان فكأنه ولا مكان. أما أنا فقد علا صدرى وانخفض بسرعة مفاجئة وعانيت في هذه الآونة ضغطاً مرتفعاً على جدران القلب، وأحسست أننى أكاد أتمزق. ولم يرحنى ويعد إلىّ الإحساس بالوجود غير دموعى التى إنسكبت شديدة وقوية، فإنفرجت بها نفسى، وهدأ إنفعالى، فاستطعت أن أنطلق بهذه الكلمات: ياليت جميع القبط بل وياليت العالم بأسره، ينعم بمثل ما أنعم به الآن. أى سيدى البار، من أنا المسكين الفاتر المتكاسل فى حياتى، والمهمل فى واجباتى، الذى أستحق هذه النعمة

المباركة فأحظى بمرآك يا أثناسيوس، أيها الخالد الذى لا يموت. إنى لمديون لك بإيمانى بمخلصى وفادى. لولاك لإنتصر الشر على الخير والباطل على الحق... فقاطعنى لئلا أسترسل فى مديحه وقال، يجب أن تشترك معى فى تقديم الشكر لله الذى قوانى وحسبنى أميناً للخدمة حتى حاربت أسوداً. إنهم أتوا إلى بسيوفهم ورماحهم وأما أنا فأتيت إليهم بقوة رب الجنود. حقا لقد علمت أن الرب قد خلص مسيحه وإستجاب له من سماء قدسه، هؤلاء بجبروت وهؤلاء بخيل، ونحن باسم الرب إلهنا ننمو، هم عثروا وسقطوا ونحن قمنا واستقمنا.

قلت يا سيدى البابا: هلا علمت أن الشعب الذى كنت ترعاه وتقتاده، وإحتملت كل صنوف الآلام لتحفظ له وديعة الإيمان الثمين نقية صافية، قد قطّعت أوصاله البدع والتعاليم الغريبة، فبدل أن كان عقيدة واحدة ورأياً واحداً، أصبح اليوم ألواناً من العقائد والمذاهب: هذا أرثوذكسى، وذاك كاثوليكى، أو مشيخى، أو بليموثى، أو إصلاحى، أو سبتى، أوخمسينى، أو رخوى، أو أريوسى (من شهود يهوة) الخ.

فأجاب على الفور: على قدر تراخى الرعاة والكهنة والشمامسة فى أداء واجباتهم الروحية، وإهمالهم التعليم للصغار والكبار، وعدم الإكتراث بمشاكل الرعية: إجتماعياً وعائلياً ومادياً.. على قدر ما تكثر البدع والتعاليم الغريبة بين أبناء

الكنيسة القبطية، وعلى قدر ما تزداد الأمور تعقيداً ويفلت الزمام من الرياسة الدينية.

قلتِ: هلا علمت يا سيدى أن رجالاتنا الكنسيين والمليين، يضّيعون أوقاتهم سدى فى مناقشات لا طائل تحتها، لا تجر وراءها غير الخصومات والمنازعات والأحقاد، فضلا عن أنها تترك فى صفوفنا ثغرة بل ثغرات ينفذ منها أعداء الكنيسة لينتزعوا منها أبناءها ويمزقوا أشلاءها، كما يحولهم عن الجهاد الأسمى الذى دعاهم الرب إليه لخلاص النفوس، ونشر الإيمان، ومقاومة الفساد والأباطيل.

قال، وقد علتْ وجه قداسته سحابة قاتمة من الغم والهم: لقد علمت يا ولدى جيداً. فنحن من عالمنا الروحي نتابع أخباركم ونعلم بأحوالكم.. ونعرف أن القيادةعندكم أصبح يتنازعها فريقان: فريق رجال الكهنوت، وفريق المجالس الملية، والغريب أن الفشل الذى أدرككم لم يكف حتى الآن ليقنعكم بفساد إتجاهاتكم. لقد فقدتم كل نوع من المنطق وغفلتم عن أبسط المبادئ العقلية فضلاً عن الروحية.

قلت كيف ذلك، أو لم يكن الأمر كذلك منذ الإبتداء؟

قال كلاّ، فلم نكن نعرف ما تسمونه بالمجالس الملّية، ومع ذلك كان بيننا وبين أولادنا أعمق مشاعر الود والحب والإنسجام. لقد ساءنى مرة أشد الإستياء أننى أشرفت على مكان

تحدث فيه عضو ملى كبير عندكم، قال فى مطلع حديثه يشرح الغرض من المجلس الملىّ «لقد أسس المجلس الملى لينتزع السلطة من الإكليروس!!!» وسمعت مرة غيره يقول «نحن ندافع عن حقوق الشعب!!» فإذا كان رجال المجلس الملىّ يفهمون مهمتهم هكذا، وإذا كان رجال الدين يشعرون أن المجالس الملية تتجه هذا الإتجاه، فهل تنتظر بعد ذلك إنسجاماً وتفاهماً!!!؟؟

قلت وما الخطأ فى هذا؟

قال: إذا كنتم تؤمنون بسر الكهنوت، وأن من ينال هذا السر يصبح صاحِبِ سلطان فى وظيفته، فإن رجال الكهنوت وحدهم هم الذين وكل إليهم الرب تدبير شئونكم الدينية والكنسية.

قلت ألم يقل الرسل: ليس حسناً أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد؟ ومن أجل هذا أقاموا رجالاً آخرين لهذه الخدمة؟

قال: وهل نسيت أن خدمة الموائد هذه إختصت برجال أتقياء مملوئين من الروح القدس والحكمة؟ وهل نسيت أيضاً أن هؤلاء أختيروا على أساس هذه الشروط الروحية والتقوية، ولم يطلب فيهم الغنى ولا الثروة ولا علو المنصب الإجتماعى كما يشترط فى مجلسكم الملىّ؟ وهل نسيت أيضاً أن هؤلاء قد إنقطعوا لهذه الخدمة دون غيرها وأنهم نالوا درجة الشماسية بوضع أيدى الرسل أنفسهم؟ قلت حقاً ما قلت يا سيدى البابا، كم من مرة سمعت من أفواه الخطباء بل وحتى الوعاظ منهم، أن المجالس

الملية تقوم فكرتها على ما دوِّن في سفر الأعمال والأصحاح السادس، ولم أكن أنتبه إلى كل هذه المفارقات.

ومما يؤيد قولك يا سيدى البابا أننى أفتش فى جميع الطوائف والشعوب، ممن تؤمن بالكهنوت والتقاليد الرسولية، فلا أجد فيها هيئة من رجال علمانيين أو مدنيين يؤلفون مجلسها الملىّ. ومن هنا فإن غبطة بطريرك الأورام الأرثوذكس، كتب يلوم الكنيسة القبطية على هذا الوضع الناشذ، الذى يتناقض مع إيمانها بسر للكهنوت يخلع على نائليه سلطان التدبير والرعاية والقيادة، ثم إنه يضع فرصة لإنقسام مرير بين هيئتين تتنازعان الإختصاص، ويخلق فى الهيئة الملية العلمانية روح التمرد والعصيان، الأمر الذى لا يسفر دائماً إلا عن أوخم النتائج.

قال: لا بل إنكم صرتم إلى شر من هذا!!! فالبروتستانت وهم شيعة لا كهنوت فيها، يتألف مجلسها الملىّ من رجال الدين فيها أو ممن يدعونهم قسوساً وشيوخاً، وهم المفرزون عندهم لخدمة الوعظ والتبشير. أفهل أدركت الآن معنى ما أقول من أنكم غفلتم عن أبسط المبادئ العقلية فضلا عن الروحية.

قلت، ولكن ألا ترى أن كنيستنا ديموقراطية، وأنها تشرك الشعب فى شئون الكنيسة ولا تدع لرجال الدين أن يستأثروا بكل شئ؟

وهنا علا صوت البابا وأخذ يتكلم فى لهجة المعلم الكبير: إن ديموقراطية الكنيسة القبطية يجب أن تفهم على وضع محدود لئلا تستحيل إلى نوع من الفوضى. فما أبعد الفرق بين ديموقراطيتنا وبين ديموقراطية البروتستانتية، وما أبعد الفرق بين مبدأ السلطة عندنا ومبدأ السلطة الأوتوقراطية عند الكاثوليك.

فنحن ننكر أن يستبد رجال الدين بالشعب، وأن يغمطوه حقه الطبيعى فى إختيار رعاته وكهنته، الأمر الذى شددت عليه القوانين الكنسية وصبت على الأسقف المستبد اللعنات والحروم، وأوقفته مديناً ومحكوماً عليه إذا تخطى إرادة شعبه ومشاعرهم.

وإننى لأذكر فى هذا الصدد أن نية سلفنا البابا ألكسندروس قد اتجهت إلى مسكنتى لإختيارى خلفاً له، ومع ذلك لم يفعل أكثر من أن يبدى رأياً، وترك الأمر من بعده للأساقفة والشعب. ومثل ذلك حدث بالنسبة للأنبا ديمتريوس الكرام، حيث أخبر سلفه القديس يوليانوس الأساقفة بالحلم الذى رآه، والذى ينبئ عن إرادة الله فى إختيار ديمتريوس الكرام خلفاً له، ولم يفعل أكثر من هذا وترك الأمر للأساقفة والشعب.

نعم إن للرئيس الدينى أن يبدى إعتراضه، بل وله أن يمتنع عن رسامة شخص ليست له مؤهلات الأسقفية أو الكهنوت حتى لو أراد الشعب هذه الرسامة، ولكن ليس له أن يتحمل مسئولية رسامة شخص آخر يعترض عليه الشعب أو يرفضه دون أن

يحقق فى إثبات أسباب الإعتراض أو نفيها. لأن الأسقف أو البطريرك يشترك مع الشعب فى المسئولية، فله أن يرفض، ولكن ليس له أن يفرض. وفى كلا الحالين سيساهم مع شعبه فى ثواب الله وعقابه.

وهنا هدأ صوت البابا ثم تبسم وقال: لكم فرحنا واغتبطنا بالحركة المقدسة التى قام بها المخلصون من شبابنا منذ شهور، ليشهدوا السماء على الطغيان والإستبداد وسلب إرادة الشعب فى إختيار رعاته. لقد ظلمتم وهزمتم ومع ذلك ففى نظرنا نجحتم، ورب فشل فى الظاهر هو نجاح فى الواقع!! لقد أرحتم ضمائركم، وحاربتم حروب الرب.

ثم استطرد يقول: كما أن رجال الدين يجب أن يستعينوا كذلك بمواهب أولادهم من المؤمنين فى سد إحتياجات الكنيسة الإجتماعية، والعلمية، والفنية، والمادية... الخ فالمهندسون والأطباء ورجال القانون، وأصحاب المراكز فى الدولة والممولين، وكذلك رجال الأدب، والفن، والصناعة، والتصوير، والموسيقى... كل هؤلاء يجب على رجال الدين أن يستعينوا بهم، وأن يطلبوا مساهمتهم فى حاجات الكنيسة المتنوعة.

قلت: يا سيدى البابا إنه يدهشنى حقا أن أستمع إلى هذا، وأن علاقة الآباء بالبنين يجب أن تسود فيها المحبة ولا ينظمها القانون، وأن نستعين بالفهم الصحيح للإختصاصات وحدود الإلتزامات. ولكن ما هو الوضع الذى تقترحه لإصلاح أحوالنا؟

* * *

قال: أنا لا أقول بإلغاء المجالس المليّة إلا إذا أصررتم على أن تفهموها على وضعها الحالى، بإعتبارها سلطة علمانية تنازع رجال الكهنوت إختصاصهم وتحد من نشاطهم، على أساس ما جددته لائحة ١٨٨٣ التى لم تجر على الكنيسة سوى البلاء، ولو أن بعضا من أعضاء مجلسكم الملىّ يؤمنون بها إيمانهم بالكتاب المقدس، أو كأنها شريعة مادى وفارس التى لا تنسخ.!

ولكننى أقر المجالس المليّة إذا أعيد تشكيلها على وضع جديد يطابق قوانين الكنيسة وتعاليمها. وإذا كان أعضاء المجالس المليّة أنفسهم يلجأون فى كثير من خطبهم إلى الإستعانة بما جاء فى الأصحاح السادس من سفر الأعمال عن الشمامسة الذين أقيموا لمساعدة الرسل فى خدمة الموائد، فمن هذا الموضع عينه يجب أن تستمدوا شروط التأهل لعضوية المجلس الملىّ - وتتلخص فى إثنين: أولهما الرجولة، والتقوى، والإمتلاء من الروح القدس، والحكمة وثانيهما: نوال درجة الشماسية (الدياكونية) بوضع اليد، والإنقطاع لهذه الخدمة إنقطاعاً تاماً.

ومع أن البابا أراد أن يسترسل فى الحديث إلا أننى إستاذنته فى المقاطعة لئلا أنسى فكرة هامة عندى، فأصغى إلىّ، فقلت:

إن بعضاً من أعضاء مجالسنا الملية شمامسة.

قال: لقد أسأت الفهم! أنا أقصد درجة الشماسية بالذات، وليس ما دونها من الدرجات.

أقصد تلك الدرجة التى يشترط فى حاملها إلى جانب التقوى، الرجولة وجميع الصفات الواردة فى رسالة القديس بولس الأولى إلى تيموثيئوس الأصحاح الثالث: أقصد هذه الدرجة التى هى من صميم درجات الكهنة، وبذلك يكون منطق القيادة الروحية متمشياً مع حكمة الله فى إيجاد سر الكهنوت. أقصد تلك الدرجة التى ينقطع حاملها لأداء مهامها كما ينقطع لها القسيس والأسقف سواء بسواء.

قلت: لقد فهمت ولكننى أخشى إن ناديت بهذا القول، أن أُتهم بأننى خيالى، وغير عملى. فأسرع البابا للرد وقال: أيهما أكثر خيالاً وأبعد عن الواقع؟ أرأينا الذى يتفق ومنطقنا الكنسى والذى كان معمولاً به فعلاً فى جميع العصور الزاهرة، أم هذا الرأى الخاطئ الذى يسند إدارة شئون الكنيسة لرجال أعمال لا يستطيعون أن يهبوا الكنيسة غير حثالة أوقاتهم؟

قلت، ما أعظم إنطباق هذا القول على الواقع! إن رجال مجالسنا المليّة رجال بارزون، ونادرون، يمثلون العبقرية القبطية. ولكم ننظر إلى كل منهم على حدة فإذا به مفخرة لأمته فى فنه وعلمه ورجاحة عقله وأصالة فكره. ولكم يسوؤنا أن تتغير هذه النظرة حينما نتطلع إلى المجلس كمجموع يصدر عنهم قرارات وتصرفات نضن عليهم أن تحسب إنتقاصاً لمكانتهم الرفيعة. وهكذا يتحمل كل منهم على حدة ما يصدرعن المجلس فى مجموعه. فابتسم البابا وربت على كتفى

وقال: أحسنت فيما قلت لأنك لم تحكم على الأفراد مما يظهر من المجموع، كما يفعل الكثيرون الذين إتهموهم بضعف الرأى وتفاهة الفكر. فالعيب ليس عيب الأفراد بقدر ما هو عيب النظام ذاته.

قلت إنه أمر طبيعى يا سيدى. ماذا ينتظر من مجلس ملىّ يتألف من طبيب ومحام ومهندس وتاجر ومدرس وصيدلى؟ هل يعقل أن تتفق هذه المجموعة فى تفكيرها ونحن نعلم جيداً أن نوع الثقافة التى تثقف بها الشخص هذا العدد من السنين قد طبعت تفكيره بطابع خاص تتفق مع مهنته وثقافته، وبالطبع يختلف عن تفكير الآخر وإتجاهه؟ أليس عدم توافر وحدة الثقافة بين هذه المجموعة هو علة إنقسامهم وإختلاف وجهة نظرهم، لاسيما إذا إجتمعوا معاً فى جمعية عمومية كان عددها كبيراً؟

قال قداسة البابا: وقد فاتك شئ آخر هو أن الطبيب أو المهندس، على الرغم من نبوغ كل منهما فى فنه، قد يعجز عن طبخ طعامه أو أى عمل آخر مهما يكن حقيراً، من حيث أنه لا يدخل فى دائرة إختصاصه الفنى. وعلى ذلك فقد يكون عضو المجلس الملىّ علماً من أعلام الطب أو الهندسة أو القانون، ومع ذلك إذا كان قليل الخبرة بشئون الدين وحاجات الكنيسة، فإن أخطاءه تكون شنيعة وضارة، ولا يشفع له فى هذا كله علو كعبه فى شئون علمه أو فنه.

قلت: إن حديثك يا سيدى ذكرنى بكلمة نافعة، نطق بها الأستاذ المحترم الدكتور وديع فرج وكيل كلية الحقوق، حين أخذ ينفى إمكان ترشيح علمانى لوظيفة البطريركية، قال: مع أننى رجل قانونى، ومغمور فى نصوص القوانين ليل ونهار، وقد إنقطعت لدراسة القانون هذه السنوات الطوال بلا توقف. إلا أنه عندما طلب إلىّ أن ألقى بحثاً فى «هل فى قوانين الكنيسة ما يمنع من ترشيح الأسقف أو المطران للبطريركية» أقر بأننى تهيبت الموقف، وأخذت أدرس الموضوع بإهتمام - إلى أن قال، إذا أردتم ترشيح علمانى (والعلمانى هو من اشتغل بغير الدين كالمحامى والطبيب والمهندس والتاجر والصانع) فأعطوه أجازة دراسية خمس عشرة سنة على الأقل.!!

قال البابا: ومسألة أخرى، هى أن رجال المجالس الملية يختارون من العظماء الذين تغل عليهم كل دقيقة من وقتهم، ربحاً مادياً كبيراً. ومن هنا يتعذر على الواحد منهم أن يضحى بوقته الثمين دون أن يحس بتبرم، لاسيما إذا كان هذا الوقت أيضاً يضيع فى مناقشات لا طائل تحتها. وفضلا عن ذلك فإذا تغلب على كل شعور بالضيق وإمتلأ قلبه بالغيرة وحب التضحية، فإن الوقت الذى يجود به للكنيسة هو قطعاً حثالة وقته الذى هو أحوج ما يكون فيه إلى الراحة. والنتيجة أن خدمة عضو المجلس الملىّ على هذه الصورة هى فى الغالب - الذى لا يخلو من شذوذ - خدمة مهما يكن من قيمتها، لا تغنى الكنيسة، ولا تسد حاجاتها المتشعبة.

وهنا خطر لبالي ما أسمعه كثيراً من عدد لا حصر له من الناس، من أن المجلس الملىّ هو برلمان الشعب القبطى. ويالها من كلمة أبعد ما تكون عن الواقع! فنحن نعلم أن عضو البرلمان لابد له من أن يفّرغ نفسه لهذا العمل وحده - وأن يستقيل من وظيفته الحكومية، لئلا تتعارض مهمته كنائب مع مهمته كموظف بالحكومة، وحتى يكون له متسع من وقته يسمح له بالتفكير، والتحضير، والعمل بما تقتضيه مهمة النيابة الجليلة، مع أننى أظن أن الأعباء التى تقع على أى عضو فى مجلسنا الملىّ أعباء ثقيلة لا تقل بل ربما من بعض الوجوه تزيد عن مهمة عضو البرلمان.

قال قداسته: يكفى الآن هذا القدر، فقد فهمت رأيى: أن لا أمل مطلقاً فى أى مجلس ملىّ يفهم مهمته أنه رئيس «لحزب الشعب» يسعى «لينتزع السلطة من الإكليروس»، ولا أمل مطلقاً فى مجلس ملىّ يتألف أعضاؤه من رجال مختلفى الثقافات، ومن رجال أعمال حكومية أو أهلية تضطرهم أن لا يهبوا الكنيسة غير جزء قليل من أوقاتهم.

وأما الحل ففى هيئة مشّبعة بروح التقوى والغيرة الروحية، تنال درجة الشماسية، وتهب الكنيسة كل وقتها لتتصرف إلى مهامها الجليلة. ويجب أن ينال كل منهم فى مقابل ذلك راتباً ثابتاً كعضو النواب، إلا إذا رأى هو أن يتنازل عنه. وبغير هذا سيطول بكم الطواف بغير وصول إلى إستقرار.

قلت آه يا سيدى البابا: ألا ترى معى أن البابا البطريرك يمكنه أن يحتضن جميع المشروعات الإصلاحية، لو أحسن إختيار القادة المحنكين، وأقام الضباط والجنود، وأفلح فى توزيع الإختصاصات وتحديد المسئوليات.!!؟

فتقطّب جبين البابا وهمهم يقول:

لو كان لكم مثل هذا البطريرك لحل الإشكال... إن المجالس المليّة على وضعها الراهن صوت صارخ ليدل على إهمال رياستكم الدينية فى صميم إختصاصاتها، وإلا فمن ذا الذى يجرؤ على التعدى علىّ إذا كنت ساهراً على نفسى، لاسيما إذا كان المعتدى صديقاً لا عدواً ؟؟!!

* * *

يبدو أننى فى هذه اللحظة قد تنهدت تنهداً عميقاً، فأحسست كأن ناراً تحرقنى فى صدرى، فقمت بفورى...

... فإذا هو حلم، فإزداد حزنى لأن الناس يحلمون فيفرحون ولو إلى حين، ولكن حلمى إنتهى بى إلى هذه الزفرة المحرقة. ثم راجعت نفسى فقلت: يكفينى أننى عشتِ فِترة مع أعظم بطريرك فى الكنيسة بل فى العالم بأسره، وسبحت فى تأملات خيالية لو إطلع عليها أحد من الناس غيرى لإتهمونى بالمثالية المتطرفة. قلت ماذا يضيرنى، فلأحيا فى عالم الخيال فهو أجدى على نفسى من عالم الحقيقة، ومن يدرى فربما يلد الخيال الحقيقة كما يلد القول الفعل.

البابا أثناسيوس الرسولى